المحاضرة الخامسة: الاتجاه البرغماتي في الفن (جون ديوى نمودجا)

يعتبر الاتجاه البرغماتي بزعامة جون ديوى أحد الاتجاهات العامة التي أعطت أهمية كبرى لفلسفة الفن و الجمال و هذا الاهتمام لا يخرج عن نطاق فلسفتها البراغماتية، ولقد قسم جون ديوى عملية الابداع وفق ما يسميه بالخبرة فهو مرجع الأعمال الفنية وربطها بما يعيشه الانسان تجارب داخل حياته اليومية .

فماهو تفسير ديوى للفن في اطار الخبرة ؟

2 ـ الفن خبرة :

لقد اهتم جون ديوى كما قلنا سلفا بتوطيد العلاقة بين الفن وتجارب الحياة " فهو يربط الفن بالتجربة أو بالخبرات فخلع عنه صفة نفعية عملية وظيفية ويصيغ على الخبرات الانسانية بصفة عامة طابعا جماليا . فليس هناك فاصل في نظره بين الخبرة الجمالية وخبراتنا اليومية ومن ثم فانه لا تمييز عنده بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ."[1]

ان الهدف من ربط جون ديوي الفن بالتجربة هو تجريده من الصفات النفعية أو الوظيفية ، فالفن حسبه ليس نفعي ولا وظيفي بل يعطيه بعدا جماليا لذى هو لا يفرق بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية .

" فليس الفن هو الواقع تماما ، بل هو حصيلة التقاء الفنان المبدع بالواقع وتفاعله معه وليست الفنون التطبيقية مجالا للتجربة الفنية الخالصة ، اذ أنها تستهدف غايات نفعية ، بينما تستهدف التجربة الفنية الخالصة الخلق الفني في ذاته ولذاته . "[2]

فالفن حسب جون ديوي ليس هو الواقع الخام كما هو بل هو ذلك التماس بين الفنان والواقع الذي يعيشه ، فالفنان عندما يواخه الواقع المعيش أو التجارب الشخصية فانه يتفاعل معها ومنها يؤلف تجارب فنية في ذاتها ولذاتها ، وعليه يؤكد جون ديوي " أن الانسان يستخدم عناصر الطبيعة و طاقاتها بقصد العمل على توسيع حياتهم الخاصة"[3]

2 ـ مفهوم الخبرة عند جون ديوي : تعني موقف من المواقف يعيشه الفرد مع اخرين فيتأثر به ويؤثر فيه ، وهو يتعلم نتائج هذا الموقف ، حيث تصبح هذه النتائج جزءا من سلوكه سواء أ كانت معلومات أو

---

[1] محمد علي أبو ريان ، مكسنة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ،دط ، دت ، ص 190
[2] محمد علي أبو ريان ، المرجع السابق ص 191
[3] جون ديوي : الفن خبرة ، ترجمة فؤاد زكرياء ن المركز القومي للترجمة ، دط ، دت ، ص

مهارات أو اتجاهات " [4]فالخبرة تعبير عن موقف مرتبط بعلاقة مع الاخرين يغلب عليه طابع التأثير والتأثر أي يجعل الانسان من السلوكات التي يتقاسمها مع الاخر وسيلة اكتساب المهارات .

" والخبرة حين تصبح (خبرة) حقة بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من دلالة ، فإنها تستحيل الى حيوية الى أعلى درجة وهنا لا يكون معناها انعزال المرئ في نطاق مشاعره و أحاسيسه الخاصة ، بل يكون معناها اتصاله بالعالم اتصالا فعالا واعيا ، وهي في ذروتها انها تعني تداخل الذات تداخلا تاما مع عالم الموضوعات و الأحداث ." [5]

هنا يميز جون ديوي بين الخبرة الخام والخبرة الحقة ، فالخبرة الخام هي الوقائع كما هي أما الخبرة الحقة فهي تنتج عن اتصال الفنان بالتجارب و الوقائع بمشاعره و أحاسيسه و عواطفه هذا الاتصال هو عملية واعية يكون الوعي الإنساني أساسها تتشابك فيها ذات الفنان وتتداخل مع الوقائع و الأحداث وتترك فيها انطباعا معينا يسمى خبرة فنية ، لهذا يرى جون ديوي " أن الأفكار ليست مجرد خبرات نظرية تحيا على مستوى العقل التأملي المجرد . وانما هي خبرات عملية ، أي نوع من النشاط العملي والتخريب الذي يسعى الانسان من خلاله الى التوافق مع بيئته والتغلب على العوائق التي تواجهه في سعيه هذا."[6]

فالأفكار حسب ديوي لا تبقى حبيسة العقل بل تتعدى الى ما هو عملي تجعل من الانسان يتفاعل مع بيئته ويتوافق معها .

كما يرى جون ديوي أنه ليس هناك تعارض بين ما هو عقلي وما هو عملي في تفسير الخبرة بقوله " واذا كنا قد حرصنا فيما سلف على تفسير الخبرة التي يغلب عليها الطابع العقلي أو الصيغة العملية ، فذلك لكي نظهر للقارئ أنه لا وجود لمثل هذا التباين أو التعارض في عملية تحصيل الخبرة " [7]

فتوصيل الخبرة وفق هذا الطرح يكون عن طريق العقل والتجربة فالخبرة تهدف الى خلق صورة منظمة لا تنفصل المادة ، فالخبرة يميزها الاشباع الجمالي الذي يرتبط بالإحساس والرغبة .

3ـ علاقة الفنان بالخبرة الجمالية ومساهمته فيها :

ان الانسان له ارتباط وثيق بكل الخبرات التي تدور حوله يستعمل الاحساس و التأمل والانفعال بكل ما يدور حوله يقول ديوي " ولو أننا حذفنا المعاني أو الدلالات الخاصة التي أعطيت لكلمات مثل : احساس وتأمل وارادة وتداع وانفعال لاختفى جانب كبير من الفلسفة الجمالية " [8]

---

[4] همابوجيدوري : الخبرة الجمالية و أبعادها التربوية في فلسفة جون ديوي ، مجلة قامعة دمشق ع 6 ، العدد الثالث ،2010 ،
[5] جون ديوي : المصدر السابق ص 35-36
[6] _ جون ديوي المصدر السابق ص 5
[7] _ المصدر نفسه ، ص ، 72

اذن فالعلاقة بين الفنان و الوقائع هي علاقة بين ذات الموضوع ليحدث بذلك انفعال و تفاعل و عليه فان " الترابط الوثيق أو العلاقات التقنية التي تجمع بين الذات والعالم من خلال تبادل الانفعال والفعل (أو النشاط القابل و النشاط الفاعل) و أن كل الفروق أو المميزات التي تستطيع التحليل أن يدخلها العالم السيكيولوجي ، ان هي الا مظاهر أو جوانب مختلفة كفعل مستمر وان كان متنوعا يتم بين الذات وبيئتها . [9] "

ان الفنان حسب ديوي يساهم بذلك الانفعال و الالتقاء بينه وبين التجارب الموجودة في الواقع لتتكون لديه لحظة جمالية يغلب عليها طابع الابداع الفني " والواقع أن ل.لمفكر لحظته الجمالية . وتلك هي اللحظة التي لا تظل فيها أفكاره مجرد أفكار بل تستحيل الى معاني أو دلالات مندمجة في صميم الموضوعات ، كذلك للفنان مشكلاته اذ هو يفكر حين يعمل ، ولكن تفكير الفنان مندمج في صميم الموضوع بطريقة مباشرة أظهرها لدى غيره."[10]

4 ـ معايير الخبرة الجمالية عند جون ديوي :

1 ـ مبدأ التحول : ان الخبرة الجمالية تنسجم مع حياة الانسان ليست نهائية وانما كل خبرة جمالية جديدة يكتسبها الانسان في محيطه يفترض أن تعدل الخبرات السابقة لها .[11]

وعليه يؤكد جون ديوي بقوله "ان الخبرة ظاهرة مستمرة لا تنقطع فظوا لأن التفاعل المخلوق الحي و الظروف المحيطة به واقعة متضمنة في صميم عملية الحياة " [12]

اذن فالخبرة في تجدد وتحول مستمر مادامت الوقائع و تجارب الانسان متغيرة ومتحولة هي أيضا.

2 ـ مبدأ الاستمرار أو تواصل الخبرة الجمالية :

الخبرة الجمالية لا تقف ولا تنتهي مادام الانسان في تفاعل مستمر مع بيئته .

3 ـ مبدأ التكامل :

الخبرة الجمالية تتطلب استجابة متكاملة من المتعلم أي معايشة المتعلم للخبرة من جوانبه كافة (الحسية و الجسمية و العقلية و الذهنية)

---

[8] _ المصدر نفسه ص ، 72
[9] _ جون ديوي : المصدر السابق ، ص 418
[10] _ المصدر نفسه ص 29
[11] _ صابر جيدوري ، المرجع السابق ، ص 113
[12] _ جون ديوي ، المرجع السابق ص 63

4 ـ مبدأ التفاعل :

الخبرة الجمالية لا تحدث داخل الشخص فقط بل تعمل في سلوكه الذي يؤثر في اتجاهاته و أحاسيسه ومشاعره[13]

يقد بنى جون ديوي نظريته في الجمال على نقد موقفين هامين وهما الموقف الانعزالي والموقف الشكلاني

فأما الأول فيرى جون ديوي من خلاله أنه لا يمكن تصور أي متعة جمالية كعزل عن الواقع حيث يرى " أن الفن الجميل لا يمكن أن يحيا فوق منصة أو ربوة عالية منعزلة عن مجال الحياة العملية " [14]

أما النظرية الشكلانية فهو ينقدها بحكم أنها ركزت على الموضوع أكثر من الصورة يقول ديوي " ان القيم الجمالية تكمن في الصورة لا المادة أو الموضوع " [15]

" ولكي نفهم الجمال في صوره النهائية المسلم بها علينا أن نبدأ بالمشاعر الأولية ، في صورها الخام ، في الحوادث والمناظر التي تلفت نظر الانسان وتسترعي سمعه ، مثيرة اهتمامه ومحققة متعة حيث ينظر ويسمع " [16]

اذن فهم الجمال يبدأ أولا ينطلق من المشاعر جراء الحوادث و الوقائع التي تواجهه في الواقع وتبره لهما يعتبر جون ديوي " الفنون لغة تعبر بها كما نحس به ، أو أقل انها لغات كثيرة مادام لكل فن أذاقه الملائمة ليكون وسيلة للاتصال بين الناس . " [17]

ان الفن يستخدم وسائل و أدوات خاصة به يستخدمها لأدل ربط علاقاته مع الاخر والتواصل معهم عن طريق فنه .

---

[13] صابر جيدوري ، المرجع السابق ص 113 ، 114
[14] جون ديوي ، المرجع السابق ، ص 9
[15] المرجع نفسه ، ص 9
[16] أحمد فؤاد الأهواني ، جون ديوي ، دار المعارف ، ط3 ، 1968 ، ص 143
[17] المرجع نفسه ، ص 146